

تفسير ابن كثير

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ^ط وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ^ط وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكُمَا وَصَمَّا ^ط مَا أَوَاهُمْ جَهَنَّمَ ^ط كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا

يقول تعالى مخبرا عن تصرفه في خلقه ، ونفوذ حكمه ، وأنه لا معقب له ، بأنه من يهده

فلا مضل له (ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه) أي : يهدونهم ، كما قال : (من

يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) [الكهف : 17] . وقوله : (

ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) قال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل

عن نفع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله ، كيف يحشر الناس

على وجوههم ؟ قال : " الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم " .

وأخرجاه في الصحيحين . وقال الإمام أحمد أيضا : [حدثنا يزيد] ، حدثنا الوليد بن جميع

القرشي ، عن أبيه ، حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر

فقال : يا بني غفار ، قولوا ولا تحلفوا ، فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون

على ثلاثة أفواج : فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم

الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار . فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما ، فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال : يلقي الله - عز وجل - الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر ، حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة ، فيعطيها بالشارف ذات القتب ، فلا يقدر عليها . وقوله : (عميا) أي : لا يبصرون (وبكما) يعني : لا ينطقون (وصما) : لا يسمعون . وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه (مأواهم) أي : منقلبهم ومصيرهم (جهنم كلما خبت) قال ابن عباس : سكنت . وقال مجاهد : طفئت (زدناهم سعيرا) أي : لها ووهجا وجمرا ، كما قال : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) [النبأ : 30] .